شـــرح:

كتاب الكبائر

لِمؤَلِّفهُ الْإِمَام:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ

لِفَضِيْلَة الشّيْخ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء، نواصلُ درسنا فِي مسجدِ قباء، فِي المسجد الَّذِي أُسسَ على التقوى مِنْ أولِ يوم، فِي أولِ مسجدٍ جامعٍ عام بُنيَ بعدَ بعثةِ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيثُ نشرحُ كتاب الكبائرِ للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائرَ علماء المسلمين، **ولا زالَ الكلامُ موصولًا عَنْ الكبيرةِ الثانية وهي القتلُ،**

وقد عرفنا أن هذه الجريمة على درجتين:

الدرجةُ الأولى: إزهاقُ النَّفس المعصومة عمدًا عدوانًا؛ وهذه مِنْ أكبر الْكَبَائِر، بل على الراجحِ مِنْ أقوالِ أهل العلم هي الكبيرةُ الثانية بعدَ الإشراكِ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والدرجةُ الثانية: إزهاقُ النَّفس المعصومة بشبه العمدِ؛ أي بما لا يقتلُ غالبًا، وهذه مِنْ كبائرِ الذنوب.

وقد قرأنا مَا سطرهُ الإمامُ الذهبيُ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وشرحناهُ، وبقيَ جزءٌ مما يتعلقُ بهذه الكبيرة، فيتفضل الابن نورُ الدين وفقهُ اللهُ والسامعين يقرأُ لنا مِنْ حيثُ وقفنا.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ أشرف الأنبياءِ والمرسلين نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين، أَمَّا بَعْدُ: اللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى: تحت كبيرة القتل: وعن ابن عمرو رَضِيَ اَللهُ عَنْه عَنْ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ قتلَ مُعاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجدُ مِنْ مسيرةِ أربعينَ عامًا»، أخرجهُ الْبُخَارِيّ والنسائي.

(الشرح)

عرفنا فيما تقدم أنَّ النفسَ المعصومةَ فِي ديننا:

- إما أن تُعصمَ بالإيمان.

- وإما أن تُعصمَ بالأمان.

أما النَّفسُ المعصومةُ بالإيمان؛ فهي نفسُ المُسلم، وكُلُّ مَا تقدمَ مِنْ النصوص يتعلقُ بهذه النَّفس.

وأما النَّفسُ المعصومةُ بالأمان؛ فنفسُ كافرٍ وجدَ فيها سببٌ للعصمةِ، نفسُ كافرٍ، وجدَ فيها سببٌ للعصمةِ.

◈ وَهَذَا الأسباب:

- **إما عقدُ الذمة**، وعقدُ الذمة يُعقدُ لكافرٍ للعيشِ بين ظهراني المسلمين مقابلَ دفع الجزية. عقدُ الذمة عقدٌ يُعقدُ مع كافرٍ والراجح: أنه لا يختص باليهود والنصارى، للعيشِ بين ظهراني المسلمين مقابلَ الجزية.

- **والسببُ الثاني: الأمانُ**؛ وَهُوَ أن يُعطيَ مُسلمٌ الأمانَ لكافرٍ، فإذا أمنَ مسلمٌ واحدٌ كافرًا، وجبَ على المسلمينَ تأمينهُ، ولا يجوزُ لمسلمٍ أن يعتديَ عَلَيْهِ.

- **والسببُ الثالث: العهد**؛ أن يكونَ بين المسلمينَ والكُفار عهدٌ بالسلمِ وكف اليدِ، فهذا لا يجوزُ الاعتداءُ عَلَيْهِ.

- وهناكَ سببٌ استجدَ فِي زمانِنا، وَهُوَ مَا يُسمى بالمواطنة، فإذا كان الكافرُ مواطنًا فِي بلدٍ مُسلم؛ فإن نفسهُ تُعصم بهذا العقد.

هنا شرعَ الذهبيُ رَحِمَهُ اللّٰهُ فِي الكلامِ عَنْ قتل النَّفسِ المعصومةِ بالأمان، بالأسباب التي ذكرناها، وأن هَذَا كبيرة مِنْ كبائر الذنوب، أعني قتلَ هذه النَّفس بغيرِ حق، كبيرة مِنْ كبائر الذنوب، فذكرَ هَذَا الحديث الَّذِي رواهُ الْبُخَارِيّ، والحديث التالي عِنْدَ الترمذي.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اَللهُ عَنْه عَنْ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «ألا مَنْ قتلَ نفسًا مُعاهدةً لها ذمة اللهِ وذمةَ رسوله؛ فقد أخفرَ ذمَّةَ الله، ولا يرح رائحةَ الجنة، وإن ريحها ليوجدُ مِنْ مسيرةِ أربعينَ خريفًا» صححهُ الترمذي.

(الشرح)

نعم، الَّذِي عِنْدَ الترمذي: «وإن ريحها ليوجدُ مِنْ مسيرةِ سبعينَ خريفًا»، والحديثُ صححهُ الألباني.

وقولُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لم يَرِحَ» بفتح الياء والراء، أصلهُ (يراح) أي وجدَ، وضُبطَ (يُرِح)، وضُبطَ (يُرَح).

قَالَ الحافظُ بن حجر: والأولُ أجود، وعليهِ الأكثر: يعني (لم يَرَح)، أجودُ مَا ضُبطَ به هَذَا الفِعل، وعليهِ الأكثر.

والمقصودُ مِنْ هَذَا الحديث: أن الكافرَ إذا حصلَ لَهُ سببٌ مِنْ أسبابِ الأماني فقد انعقدت لَهُ ذمتةُ الله، فلا يجوزُ الاعتداءُ عليهِ، فَمَنْ قتلَ كافرًا قد عُصمَ دمه بسببٍ مِنْ الأسباب التي ذكرنا، بغيرِ حَقٍّ فقد ارتكبَ كبيرةً عظيمةً مِنْ كبائر الذنوب، ويدلُ لذلك أنه متوعدٌ بأن يُحرمَ مِنْ شَمِ رائحة الجنة التي تُشمُ مِنْ بَعيد، ففي حديث الْبُخَارِيّ: «أنهُ يُحرمُ مِنْ شَمِ رائحة الجنة علىٰ مسافةِ سير أربعينَ سنة»، وفي حديث الترمذي وهي رواية مِنْ روايات الْبُخَارِيّ، ليست فِي المطبوع، «أنه يُحرمُ مِنْ شمِ رائحة الجنة مسافةَ سير سبعينَ سنة».

وقد قَالَ بعضُ أهل العلم فِي التأليفِ بين الأربعين والسبعين: أن المقصودَ التكثير، وليسَ المقصود العدد بعينهِ؛ لأن العربَ تستعملُ الأربعينَ والسبعينَ فِي التكثير.

وَقَالَ بعضُ أهل العلم: إن البُعدَ يكونُ بحسب الجُرمِ، بحسب الجُرم فقد يُبعدُ قاتلُ المُعاهدِ عَنْ الجنةِ أربعينَ عامًا لا يشمُ ريحها، وقد يُبعدُ سبعينَ عامًا، بحسبِ جُرمهِ الَّذِي بدرَ منهُ.

ولا شك أن فِي هَذَا وعيدًا لقاتلِ المُعاهدِ بدخول النَّار، والحرمانِ مِنْ الجنة مُدةً طويلة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اَللهُ عَنْه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ أعانَ علىٰ قتل مؤمنٍ بشطر كلمةٍ، لقيَ اللهَ مكتوبٌ بين عينية: آيَاسٌ مِنْ رحمة الله» رواهُ الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجة، وفي إسنادهِ مقال.

(الشرح)

نعم، هَذَا الحديث رواهُ ابنُ ماجة، ولم أرهُ فِي مُسندِ الإمام أحمد، وقد قَالَ الإمامُ أحد: ليسَ هَذَا الحديثُ بصحيح. قَالَ الإمامُ أحمد عَنْ هَذَا الحديث: إنهُ ليسَ بصحيح.

وحكمَ كثيرٌ مِنْ المُحدثين عَلَيْهِ بأنهُ موضوعٌ مكذوب، وبيّنَ الشيخُ الألبانيُ رَحِمَهُ اللهُ أنه ضعيفٌ وليس موضوعًا؛ لوجودُ شواهد ترفعهُ عَنْ أن يكونَ موضوعًا، ولا شكَ أن الإعانةَ على القتل العمد

العدوان مُحرمةٌ تحريمًا مُغلظًا وأنها كبيرةٌ مِنْ كبائرِ الذنوب، لَكِنَّ كونهُ ييأسُ مِنْ روح الله وَمِنْ رحمة الله يوم القيامة فهذا لم يقم عَلَيْهِ دليل، بل كما تقدمَ معنا: هُوَ كقاتل العمد إن تابَ توبة صادقة، وأدى مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ للأولياء إن كان عَلَيْهِ حقٌّ فإن اللهَ يقبلُ توبته، ويُرجى أن اللهَ الكريم يُرضي خصمهُ عنهُ يوم القيامة بفضلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وعن معاويةَ رَضِيَ اَللهُ عَنْه أنه قَالَ: سمعتُ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلُّ ذنبٍ عسىٰ اللهُ أن يغفره، إلا الرجلُ يموتُ كافرًا، أو الرجلُ يقتلُ مؤمنًا متعمدًا» أخرجهُ النسائي.

(المتن)

هَذَا الحديث رواهُ النسائيُ وأحمدَ عَنْ معاوية، ورواه أبو داود وابنُ حِبان عَنْ أبي الدرداء، وصححهُ الألباني.

ومعنى الحديث: أن كُلَّ ذنبٍ يُمكنُ أن يغفرهُ الله إذا وافى به صاحبهُ، يعني كُل ذنب إذا فعلهُ الموحد ومات عَلَيْهِ، لم يتب منه، يُمكن أن يغفرهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلا الكُفرَ الأكبر، ولا شك، كما تقدمَ معنا فِي الكبيرةِ الأولى: أنَ مَنْ ماتَ على الشرك الأكبر والكُفر الأكبر، والنفاق الاعتقادي، لا يغفر اللهُ لَهُ أبدًا، بل هُوَ خالدٌ مُخلدٌ فِي النَّار.

والصنف الثاني: الرَجُل يقتل مؤمنًا مُتعمدًا عدوانًا.

وَهَذَا الثاني عِنْدَ جماهير العلماء، إنَّمَا ذُكرَ هنا للتغليظِ والزجرِ عَنْ هَذَا الفِعل، وإلا فذنبهُ كسائر الذنوب إن تابَ تاب اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ إن وافى عَلَيْهِ فَهُوَ كسائر الذنوب غير الشِرك، هُوَ تحتَ المشيئة: إن شاءَ اللهُ عفا بفضله، وإن شاءَ ربُنا أخذَ بعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد تقدمَ معنا يا إخوة مِرارًا وتكرارًا، ويجبُ على المؤمنِ ألا يغيبَ هَذَا عَنْ بالهِ أبدًا، أن أفعالَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها الحكمة، فإن عفا يومَ القيامة فهذهِ الحكمة، وإن عاقبَ يومَ القيامة فهذه الحكمة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم.

وقد قدمنا أن قاتلَ العمد إذا تابَ توبةً صادقةً وأعطى الأولياءَ حقهم بأن سلمَ نفسهُ إليهم، يقبلُ الله توبته، ويسقطُ حقُ الله، ويسقطُ حقُ الأولياء، ويبقى حقُ المقتولِ الَّذِي قُتلَ عمدًا عدوانًا، والمرجوُ مِنْ ربنا الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُرضيَ عنهُ خصمهُ يومَ القيامة مِنْ فضلهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبهذا نكون انتهينا مِنْ هذه الكبيرةِ الثانية، وننتقلُ إلى الكبيرةِ الثالثة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الكبيرةُ الثالثة: السِحر.

(الشرح)

هذه الكبيرةُ الثالثة وهي السِحرُ، هذه الكبيرة يا إخوة، انتبهوا!

- منها مَا هُوَ كُفرٌ أكبر، بل أغلبُها كُفرٌ أكبر. وعلى هَذَا تكونُ مِنْ الكبيرةِ الأولى، مِنْ الإشراكِ بالله، والكُفرِ باللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ومنها مَا هُوَ دون الكُفرِ، كما سيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ، وقد يتضمنُ القتلَ، فقد يقتلُ الساح فيكونُ ذَلِكَ- مِنْ كبيرةِ القتل العمد العدوان التي قلنا إنها الثانية.

- وإن لم يتضمن السِحرُ الَّذِي هُوَ ليس كُفرًا القتلَ؛ فإنه كبيرةٌ مِنْ كبائر الذنوب، فيكونُ كبيرةً ثالثة.

ولهذا يا إخوة، لم يذكر الذهبيُ السِحرَ بعدَ اشراكِ بالله؛ لأن مَا كان مِنْ السِحرِ كُفرًا؛ فإنه يدخلُ فِي الإشراكِ بالله، وليسَ كبيرةً ثانية، وما تضمنَ قتلًا؛ فإنه مِنْ القتلِ العمد العدوان، وما لم يكن كُفرًا ولم يتضمن قتلًا فإنهُ الكبيرةُ الثالثة.

والسِحرُ فِي اللغة: مَا خفيَ ودقَ سببهُ، كما يُطلق فِي لغة العرب على المُخادعة، وعلى صرف الشيءِ عَنْ حقيقته.

والسِحرُ فِي الاصطلاح الشرعي: اسمٌ لأنواعٍ مُختلفة يجمعُها الخفاءُ.

وأشرُ أنواعِهِ: عقدٌ تُعقدُ فِي أسلاكٍ أو خيوطٍ ونحوِ ذَلِكَ؛ يُتمتمُ فيها بكلماتٍ غير مفهومة، أو غير معهودةٍ للناس، قد تُخلطُ معها آياتٌ مُفرقةٌ، فقد يجعل الساحر فِي سِحرهِ آية الكُرسي، لكنهُ يُفرقُها بين الكلمات، أو مقلوبة، معكوسة، استعانةً بالشياطين، فتؤثرُ فِي القلوبِ والأنفُسِ والعقولِ والأبدانِ بإذن الله الكوني، هَذَا أشرُ أنواع السِحر، عُقد تُعقد فِي أسلاك وخيوط ونحو ذَلِكَ، يُتمتمُ عَلَيْهَا الساحر بكلمات، هذه الكلماتُ فيها استعانةٌ بالشياطين وتقربٌ إلى الشياطين، ولذلك تكونُ غيرَ معهودةٍ للناس، ليست مِنْ الكلمات المعهودة؛ لأنها رموزٌ للشياطين وخطابٌ للشياطين.

وقد تُجعلُ فيها بعضُ الآيات لأمرين:

- **الأمر الأول:** إيهام النَّاس أن الساحرَ يذكر الله، ولذلك بعض النَّاس يقول: لا، مَا هُوَ ساحر، أنا سمعتهُ يقرأ القُرآن.

- **والأمر الثاني:** لإهانة القُرآن، ولذلك يكونُ قبلها أو بعدها أو فيها لفظٌ فيهِ إهانةٌ للقُرآنِ.

هَذَا العقدُ إذا تمَ فإنه يؤثرُ فِي القلوبِ بإذن الله الكوني لا الشرعي، فيجعلُ الزوجةَ تُحبُ زوجها، ويجعلُ الزوجَ يُحبُ امرأته، بل يجعلُ المرأةَ الأجنبيةَ تُحبُ الرجلَ الأجنبي، والعكس، بل -والعياذ بالله- قد يبلغُ الخُبث أنه يجعلُ الرجُلَ يُحبُ الرجُلَ، ليس الحُب الشرعي، وإنما الحُبَ الخبيث، ويجعلُ المرأةَ تُحبُ المرأة.

وقد رأيتُ مرةً شابًا يذهبُ إلى رجلٍ قبيح الشكل قبيح السيرة، ويطردهُ هَذَا الرجل ويرجع إليه، ويحصلُ مَا يحصل حتى رُقيَّ فانفكَ مَا بهِ.

وقد يؤثرُ بالعكس: فيجعلُ الرجل يُبغضُ امرأتهُ، ويجعل المرأة تُبغض زوجها، حتى أن بعضهم يقول: سرت أراه كالشيطان، كالوحش إذا اقتربَ مِني، مع أن هَذَا لم يكن. تقول إحدى النِّسَاء: تقدمَ لي رجل، خطبني وكان رجلًا صالحًا، فرأيتهُ مقبولًا ورضيتُ بهِ، فلما عقدَ علي ودخل، سرت أراه كالوحش، لا أُطيق أن أنظرَ فِي وجهه، ولا أُطيق أن يقتربَ مِني. هَذَا فِي الغالب يكون مِنْ آثار السِحر.

إذًا هذه الرُقى الشركية الشيطانية والعزائم، تؤثرُ فِي القلوب بإذن الله الكوني، وقد تؤثرُ فِي الأنفس بما يُشبه الأمراض النفسية، فتجد المسحور بعدَ أن كان عاقلًا مُتزنًا، يُصبح كالمريض النفسي، يُحدثُ نفسه، وقد يضربُ نفسه، ونحو ذَلِكَ.

وقد تؤثرُ فِي العقولِ بإذن الله الكوني، فيُصبحُ العاقلُ مجنونًا، بإذن الله الكوني، وسببُ ذَلِكَ السِحر، وقد تؤثرُ فِي الأبدانِ فتظهرُ فِي المسحورِ أمراضٌ عضوية، كما يُسمى بالسرطان ونحو ذَلِكَ، بل والسُكر ونحو ذَلِكَ، وسببُها السِحر، لا يعني هَذَا أنَ كُلَّ مرضٍ عضوي سببهُ السِحر، لكنَ السِحرَ قد يؤثرُ هَذَا، بإذن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الكوني القدري.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لأن الساحرَ لا بُدَّ أن يكفر.

(الشرح)

نعم، الساحرُ الَّذِي يستعينُ بالجِنِ والشياطين لَا بُدَّ أن يكفر، فلا يخدمونهُ حتى يتقربَ إليهم بما هُوَ كُفرٌ، وأكثرُ شيءٍ يحبونهُ إهانةُ القُرآن وتركُ الصَّلَاة. أكثر شيء يتقرب به السحرة إلى الشياطين ليخدموهم فِي باب السِحر، أمران:

- إهانة القُرْآن، كأن يبول على القُرآن -والعياذ بالله-.

- أو تركُ الصَّلَاة. الشياطين والجِن الكفرة يُحبونَ ترك الصلاة، ولا يُطيقونَ مَنْ يُصلي، ولذلك لا يخدمونَ مُصلي، فلابد للساحرِ الَّذِي يستعين بالجِن المَردة والشياطين أن يكفرَ.

هَذَا مراد الشيخ، ليسَ كُل ساحر، وإنما الساحر الَّذِي يستعين بمردة الجِن والشياطين لَا بُدَّ أن يكفرَ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وما للشيطان الملعونِ غرضٌ فِي تعليمِهِ الإنسانَ السِحرَ إلا يُشركَ به.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ هاروتَ وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] إلىٰ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(الشرح)

هذه الآيةُ يا إخوة: مِنْ أشدِ الآياتِ علىٰ السحرة، وَمِنْ أعظمِ مَا يُرقىٰ به المسحور، مؤثرةٌ بإذن اللهِ تأثيرًا عجيبًا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] إذًا السِحرُ يا إخوة تلاوةُ الشياطين، لم يأتِ مِنْ طريقٍ شرعي.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهذا يدل علىٰ أن السِحرَ كُفرٌ.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] بِمَ؟ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] إذًا تعليم السِحر كُفر.

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] نزلَ ملكانِ ببابل بعزائمَ سِحرية ابتلاءً للخلق.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهذا فِي المُتعلم.

الأول: كُفر المعلم.

هَذَا فِي كُفر المتعلم السِحر؛ لأن هَذَا يُريد أن يتعلم ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فدل ذَلِكَ علىٰ أن للسِحرِ حقيقة.

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فالسِحرُ فيهِ ضررٌ محضٌ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] العلماء فِي تفسيرِ قولهِ تَعَالىٰ: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، لهم قولان:

القول الأول: أنه لا يدخلُ الجنةَ أبدًا.

والقول الثاني: أنه لا دينَ لَهُ يُقبل.

والمؤدىٰ واحد، أنه خالدٌ مُخلدٌ فِي النَّار.

وقولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ يشملُ المُعلمَ، والمُتعلمَ، والطالبَ المُصدقَ؛ لأن كلهم اشتروه: المعلم للسحر، والمتعلم للسحر، والطالبُ للسِحرِ؛ ولا يطلبُ إلا إذا صدق، المُصدق. ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

فدلَ هَذَا على أنَ السَاحرَ الَّذِي يتعلمُ مِنْ الشياطين، ويتقربُ إلى الشياطين كافرٌ، سواءً كان مُعلمًا، أو مُتعلمًا أو طالبًا للسحرِ مُصدقًا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فترىٰ خلقًا كثيرًا مِنْ الضُلال يدخلُونَ فِي السِحرِ ويظنونَه حَرَامًا فقط، وما يشعرونَ أنه الكُفر.

(الشرح)

نعم، بعضُ النَّاس يدخلونَ فِي السِحرِ تعلمًا، أو عملًا وهم يظنونَهُ حرامًا فقط، ولا يعلمونَ أنه كُفرٌ، وَهَذَا يا إخوة لا ينفعهم شَيْئًا؛ لأن المُتقررَ أنَ مَنْ فعلَ الحرامَ وَهُوَ مُكلفٌ ترتبَت عَلَيْهِ العقوبةُ؛ لأن الأثرَ والعقوبة ليسَ مِنْ فعل الحرام، فَمَنْ فعلَ الحرام وَهُوَ مُكلف وكانَ ذلكَ كُفرًا؛ فإنهُ يكفرُ إن وجدت الشروط وانتفت الموانع؛ لأن التكفيرَ أثرُ الفِعلِ وليسَ الفِعلَ، وأثرُ الفعلِ ليسَ بيد الإنسان.

إذًا لو جاءنا إنسان قَالَ: والله: أنا تعلمت السِحر وأعرف أنه حرام، لَكِنَّ مَا أعرف أنه كُفر. قلنا: لا ينفعُكَ شَيْئًا، مَا دُمتَ تعلمتَ وأنتَ مُكلف وتعرف أنه حرام، ترتبت عليكَ الآثار، فالأمرُ جِدُ خطير.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فيدخلونَ فِي تعليمِ السيمياء وعملها، وهي محضُ السِحر، وَفِي عقد المرءِ عَنْ زوجتِهِ وَهُوَ سِحر، وَفِي محبة الزوجِ لامرأته، وفي بُغضِها وبُغضه.

(الشرح)

يُشيرُ الذهبيُ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا إلى أن السِحرَ قسمان:

☚ القسمُ الأول: سُحرُ تخييلٍ وتهويلٍ وما يُسمى: أمورَ مَا وراءَ الطبيعة؛ وَهَذَا الَّذِي يُسمى: السيمياء؛ التخييلُ والتهويلُ والإتيان بأمورٍ غير معهودة مما يُسمىٰ: مَا وراء الطبيعة.

كما حصلَ مع سحرة فرعون لما ألقوا حبالهم وهي حِبال، ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ [طه: ٦٦]

أي إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، يُخيل إليه أنها حيات تسعىٰ، وليسَ الأمر كذلك، هَذَا السيمياء، سحرهم سِحر السيمياء، والسيمياء كلمة أعجمية ليست يعني عربية، هَذَا القسم الأول.

☚ والثاني: حقيقةٌ مؤثرةٌ بإذنِ ربنا الكوني:

◆ كحبس الرجُلِ عَنْ إتيان امرأته، فلا يستطيع أن يُجامع امرأته، ولا داءَ به ولا عيب، إذا اقتربَ امرأتهِ حُبسَ، وإذا ابتعدَ عنها أُطلقَ، هَذَا سِحرُ حبسٍ وصرف.

◆ وكذلك جعل الزوج يُحب زوجتهُ، أو العكس، وَهَذَا سِحر عطف.

◆ وكذلك جعل الزوج يُبغض زوجته، والعكس كذلك، وَهَذَا سِحر صرف.

◆ وكذلك جعل المسحور ينسىٰ، ينسىٰ، يأكل ثُمَّ ينسىٰ أنه أكل، يأتي أهلهُ ثُمَّ ينسىٰ أنه أتىٰ أهلهُ، أو يظن أنه أتىٰ أهلهُ وَهُوَ لم يأتِ أهله، وَهَذَا سِحرٌ حقيقي.

إذًا يجب أن نفهم هَذَا يا إخوة، والذهبي هنا أشار إلى الأمرين:

➤ قَالَ: (فيدخلونَ فِي تَعليمِ السيمياءِ وعملِها). هَذَا السِحر الَّذِي هُوَ تخييل وتهويل، مثل: تجدون يعني الآن حتى ينشرونهُ فِي المقاطع، تجدون رجلًا يجلس فِي الهواء، مَا تحتهُ شيء، ويضعونَ أيديهم مِنْ تحته، مَا تحتهُ شيء، هَذَا مِنْ السيمياء، ترفعهم الشياطين، وقد يعني يُظهر بعضهم أنه يدخل مِنْ شيء ويخرج مِنْ شيءٍ آخر.

كما فِي زمن شَيْخُ الإِسْلَام ابن تيمية، كان بعضهم يُخيل للناس أنه يدخلُ مِنْ دُبرِ البقرة ويخرج مِنْ فمها، فقرأَ الشيخ آية الكُرسي، فبانِ للناس أنه يدخلُ مِنْ تحتها ويخرج مِنْ الأمام، تخييل وتهويل.

➤والنوع الثاني: حقيقي لَهُ تأثير، ليسَ مُجرد خيال، ولكنَ تأثيرهُ بإذن الله، ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، بإذن الله الكوني وليسَ الشرعي.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وأشباه ذَلِكَ بكلماتٍ مجهُولة أكثرُها شِركٌ وضلال.

(الشرح)

نعم، قول الشيخ: (بكلماتٍ مجهولة: أكثرُها شركٌ وضلال)، كما قلنا: أي بكلماتٍ غير معهودة، إذا سمعتها تستغربُها، لا تسمعها فِي كلام النَّاس، والسِرُ فِي هَذَا مَا قدمتهُ لكم، مِنْ أنها رموزٌ للشياطين، وكلمات يفهمها الشياطين، يتقربُ بها الساحر إليهم.

وانظر إلى دقة الشيخ، قَالَ: (أكثرها شِركٌ وضلال)؛ لأنه كما قلنا يا إخوة: قد يجعلُ الساحرُ فِي كلامهِ آيةً، لَكِنَّ ليسَ على وجِها، بل يُقطعُها أو يقلبُها، ونحو ذَلِكَ للأمرينِ المذكورينِ سالفًا.

فهذا يعني أشرُ السِحرِ، وأخبثُ السِحر.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وحدُ الساحرِ القتل.

(الشرح)

نعم، وسيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ، سنتكلم عَنْ حَد الساحر بالأدلة.

(المتن)

لأنه كفرَ باللهِ أو ضارعَ الكُفر.

(الشرح)

(لأنه كفرَ بالله أو ضارعَ الكُفرَ)، ضارعَ يعني قاربَ، يُقال: ضارعَ الشيء، أي قاربهُ. قاربَ الكُفرَ، فَهُوَ إما كافرٌ وإما مرتكبٌ لكبيرةٍ مِنْ أكبرِ كبائرِ الذنوب.

والشيخُ هنا يُشيرُ إلى أن السِحرَ ليسَ درجةً واحدة، بل درجاتٌ وأقسام، فالسِحرُ يا إخوة قد لا يُضرُ بهِ، ولكن يُتقربُ به إلى الشياطين والآلهة كما يزعمون، وقد يُضرُ به بواسطةِ الشياطين ومردة

الجِن، وقد يكون دونَ ذَلِكَ، أقسامٌ نُفصلُها ونُبينُها ثُمَّ نذكرُ أحكامها فِي المجلس القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُفقهنا فِي دينه، وأن يجعلَ علمنا نافعًا لنا، وأن يجعلنا به مِنْ المُتقين الذين يخشونهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يجعلنا مِنْ الناصحينَ للأُمة، الآمرينَ بالمعروفِ بمعروف، والناهينَ عَنْ المُنكرِ بغيرِ مُنكر، المُعلمينَ النَّاسَ تقوى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، المُحذرينَ مِنْ الانحرافِ عَنْ صراط اللهِ المستقيم، إما بالشهواتِ وإما بالشُبهات.

أسألُ ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا وَمَنْ يسمعنا وَمَنْ يُريد الحق إلى مَا يُحبهُ ويرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يرضى عنا بذلك، أسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بأسمائهِ الحُسنى، وصفاتهِ العُلا أن يحفظَ إخواننا فِي غزة، اللّٰهمَ احفظ إخواننا فِي غزة، اللّٰهمَ احفظ إخواننا فِي غزة، اللّٰهمَ إن الصهاينة قد طغوا وبغوا وتجبروا وتكبروا وتمردوا وظنوا ألا أحدَ يقدرُ عليهم، وأنتَ يا ربنا إن شئتَ دمرتهم تدميرًا، اللّٰهمَ فاحمي إخواننا، اللّٰهمَ فاحمي إخواننا، ودمر مَنْ يُريدُ استئصالهم يا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اللّٰهمَ اهدِ الضالَ مِنْ إخواننا، اللّٰهمَ اهدِ الضالَ مِنْ إخواننا، وثبت المُهتدي يا ربَ العالمين، باركَ اللهُ فِي الجميع، واللهُ تَعَالَىٰ أعَلَىٰ وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ